سلمى بنت خصفة

زوج الصحابى الجليل المثنى بن حارثة الشيبانى

كانت من فواضل نساء عصرها

*** سمعنا مقالتك يا أخا قريش**

يقول المثنى بن حارثة الشيبانى :

خرجت أنا ومفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والنعمان بن شريك فى موسم الحج ، وبينما كنا فى منى أقبل محمد ـ ﷺ ـ ومعه أبو بكر وعلى بن أبى طالب فسألنا أبو بكر :

ـ ممن القوم ؟

قلنا :

ـ من شيبان بن ثعلبة .

فالتفت الصديق إلى خاتم النبيين ﷺ وقال :

ـ بأبى أنت وأمى هؤلاء غرر فى قومهم .

كان فيهم مفروق بن عمرو ، وهانئ بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك .

فقال أبو بكر لمفروق بن عمرو :

ـ كيف العدد فيكم ؟

فقال مفروق :

ـ إنا لنزيد عن الألف ولن تغلب الألف من قلة .

فقال الصديق :

ـ **كيف المنعة فيكم ؟**

قال مفروق بن عمرو :

ـ **علينا الجهد ولكل قوم جد ـ حظ ـ**

فتساءل ابن أبى قحافة :

ـ فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟

قال مفروق بن عمرو :

ـ **إنا لأشد ما يكون غضبا حين نلقى ، وإنا لأشد ما يكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله يديلنا ـ ينصرنا ـ مرة ويديل علينا مرة .**

ثم تساءل مفروق بن عمرو :

ـ لعلك أخو قريش ؟

فقال الصديق :

ـ **أو قد بلغكم أن رسول الله ﷺ فيها ؟**

ثم التفت أبو بكر نحو المبعوث للناس كافة ﷺ وقال :

ـ **هو ذا**

فقال مفروق بن عمرو :

ـ **بلغنا أنه يذكر ذلك ، فإلام تدعو يا أخا قريش ؟**

فتقدم السراج المنير ﷺ وقال :

ـ **أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى رسول الله ، وإلى أن تؤوونى وتنصرونى ، فإن قريشا تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد .**

فعاد مفروق بن عمرو يتساءل :

ـ وإلام تدعو يا أخا قريش ؟

فراح إمام النبيين ﷺ يتلو : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٥١] .

فقال مفروق بن عمرو فى دهش :

ـ ما هذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم عرفناه .

ثم قال مفروق بن عمرو :

ـ وإلام تدعو أيضا يا أخا العرب ؟

فتلا البشير النذير ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون ﴾ [سورة النحل الآية : ٩٠] .

فقال مفروق بن عمرو :

ـ دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك .

وأراد مفروق بن عمرو أن يشاركه فى الكلام هانئ بن قبيصة فقال :

ـ هذا هانئ بن قبيصة وصاحب ديننا.

فقال هانئ بن قبيصة :

ـ قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش ، وإنى أرى إن تركنا ديننا واتبعنا إياك على دينك بمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لزلة فى الرأى وقلة نظر فى العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر .

obeikandl.com

وكأنه أراد أن يشاركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال :

ـ **هذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا.**

فقال المثنى بن حارثة :

ـ **قد سمعنا مقالتك** يا أخا قريش ، الجواب هو جواب هانىء بن قبيصة فى تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، وإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب دون ما يلى أنهار كسرى فعلنا ، فإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا وأن لا نؤوى محدثا ، وإنى أرى هذا الأمر الذى تدعونا إليه أنت ، هو مما تكرهه الملوك .

فقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

ـ ما أسأتم فى الرد إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دين الله عز وجل لن ينصره إلا من أحاط به من جميع جوانبه ، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويعرسكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه .

فقال النعمان بن شريك :

ـ اللهم لك ذا .

* إسلامه

أسلم المثنى بن حارثة فى السنة التاسعة من الهجرة فقد كان أحد أفراد وفد بنى شيبان الذين جاءوا إلى مدينة رسول الله ﷺ وبايعوه ولما رجع إلى أهله أسلمت زوجه سلمى بنت خصفة

* أمرنى على قومى .

لما استخلف الصديق قدم المثنى بن حارثة الشيبانى وقال له :

ـ يا خليفة رسول الله إن فى قومى إسلاما كثيرا فأمرنى عليهم حتى أجاهد أعداء الله من فارس وأكفيك ناحيتى .

فعقد له الخليفة الأول لواء على قومه ، وكانت منازل بنى شيبان فى حدود الصحراء مما يلى سواد العراق .

ورجع المثنى بن حارثة إلى قومه فجمعهم ودعاهم إلى الجهاد فاستجابوا له فأخذ يغير بهم على أطراف السواد وأسفل الفرات وهو فى كل غارة يروع الفرس ويقتل بعضهم ويصيب مغنما ، حتى أثار الاضطراب بين أهل السواد ونشر الرعب في نفوسهم .

ولما ولى الخليفة الأول خالد بن الوليد حرب العراق ضم إليه المثنى بن حارثة

* مع خالد بن الوليد

أصبح المثنى بن حارثة ذراع خالد بن الوليد اليمنى فى جميع معاركه الحربية فقد كان المثنى شجاعا بطلا حسن الرأى والإمارة .

ولما سار خالد إلى الشام استخلف المثنى بن حارثة على من هناك من الجنود بالعراق.

* واقعة بابل

علم المثنى بن حارثة أن الفرس سيروا إليه جيشا ضخما قائده هرمز جازويه فلقيه المثنى بن حارثة ، وكان مع الفرس فيل ألقى الرعب فى خيل المسلمين فعمد المثنى وجماعة من المسلمين فقتلوا الفيل وهزموا الفرس .

* قرار خطير

لما ارتدت العرب إثر وفاة خاتم النبيين ﷺ: اتخذ أبو بكر قرارا بحرمان الذين ارتدوا ثم عادوا إلى الإسلام من الجهاد فى سبيل الله وكان عدد هؤلاء عشرات الألوف فانطلق المثنى بن حارثة إلى المدينة فوجد الناس يبايعون الفاروق .

وأخذ أمير المؤمنين عمر برأى المثنى بن حارثة فى مسألة العائدين إلى الإسلام من المرتدين فأذن لهم الفاروق بالعودة إلى الجهاد فى سبيل الله .

وأبلى المثنى بن حارثة فى حروب العراق بلاء لم يبلغه أحد .

* وفاته :

مات المثنى بن حارثة الشيبانى سنة أربع عشرة من الهجرة قبل موقعة القادسية .

* زواج سلمى سعد بن أبى وقاص

لما انقضت عدة سلمى بنت خصفة تزوجها الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص

* أبو محجن الثقفى

كان أبو محجن شاعرا فى الجاهلية وكان يشرب الخمر ، ثم أسلم

وذات ليلة قبض عليه عسس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يتمايل من السكر فساقوه إلى الفاروق ومعه بعض ندمائه

فسألهم عمر :

ـ أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ؟

قال أبو محجن :

ـ كيف حرمها يا أمير المؤمنين وهو يقول ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سورة المائدة الآية : ٩٣].

فأرسل عمر إلى أبى الحسن ، فلما جاء على بن أبى طالب وعلم ما حدث قال:

ـ لو كان القصد من الآية ما فهمه الثقفى ـ يعنى أبا محجن ـ وندماؤه لساغ لهم أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير ، وأرى أن يقتلوا إن كانوا قد شربوها مستحلين ـ الحكم الشرعى يقول : من استحل حكما معلوما تحريمه من الدين بالضرورة يقتل كفرا ـ وأن يحدوا ـ يقام عليهم الحد ـ إن كانوا قد شربوها معتقدين حرمتها

فسألهم أمير المؤمنين عمر فقالوا :

ـ والله ما شككنا فى أنها حرام

فجعل الفاروق يجلدهم واحدا واحدا

ولما انتهى إلى أبى محجن قال :

وإنى لذو صبر وقد مات إخوتى ولست على الصهباء يوما بصابر

الصهباء : الخمر

فقال عمر بن الخطاب :

ـ أبديت ما فى نفسك ولأزيدنك عقوبة لإصرارك

فقال على بن أبى طالب :

ـ ليس ذلك إليك يا عمر ، وما يجوز أن تعاقب رجلا قال سأفعل ولم يفعل

ولكن أبا محجن الثقفى لم يقلع عن شرب الخمر

كما لم يقلع الفاروق عن جلده كلما شرب

ولما أعيا أمير المؤمنين عمر أمر أبى محجن وعجز عن إصلاحه قال له :

ـ لا تساكننى فى بلد أنا فيها

وأمر بنفيه

وحدث أبو محجن الثقفى نفسه فقال :

ـ لم يعد لى مقام بالحجاز ما كان فيه عمر

ثم فر إلى العراق

فلما علم عمر بذلك بعث إلى سعد بن أبى وقاص يأمر بحبس أبى محجن الثقفى حين يفد ، فحبسه سعد ووضع القيد فى قدميه

* يوم القادسية

وقف سعد بن أبى وقاص فوق قصره يوم أرماث ـ أول يوم من أيام القادسية ـ فقد أصيب بالدمامل وعرق النساء فمنعه ذلك أن يركب فرسا أو راحلة ولا يجلس فأشرف على جيش المسلمين من القصر وفى صدره وسادة أكب عليها وأخذ يرمى بالرقاع فيها

أمره ونهيه إلى أمراء جيشه

وقيل :

شهدت سلمى بنت خصفة القتال مع سعد بن أبى وقاص يوم القادسية ، ولما كان يوم أرماث جال المسلمون وكان سعد لا يطيق جلسة إلا مستوخزا أو على بطنه فجعل يتململ ويحول جزعا فوق قصر العذيب ، فلما رأت سلمى ما يصنع أهل فارس قالت:

ـ وا مثيناه ولا مثنى للخيل اليوم

وهى عند رجل ـ سعد بن أبى وقاص ـ وقد أضجره ما يرى من أصحابه وفى نفسه ـ كان مصابا بالدمامل وعرق النساء ـ فلطمها سعد على وجهها وقال :

ـ أين المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحى ـ يعنى قبيلة أسد وعاصم بن عمرو ـ فقالت سلمى :

ـ أغيرة وجبنا ؟

قال سعد بن أبى وقاص :

ـ والله لا يعذرنى أحد إذ أنت لم تعذرينى وأنت ترين ما بى والناس أحق ألا يعذرونى فتعلقها الناس

فلما ظهر المسلمون على الفرس لم يبق شاعر إلا اعتد بها عليه وكان غير جبان ولا ملوم

ولما اشتد القتال وكان أبو محجن فى محبسه وقيده أتى سلمى بنت خصفة وقال :

ـ يا سلمى بنت خصفة هل لك إلى خير ؟

قالت سلمى بنت خصفة:

ـ وما ذاك ؟

قال أبو محجن الثقفى :

ـ تخلين عنى وتعيرينى البلقاء ـ فرس سعد بن أبى وقاص ـ فلله على إن سلمنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى فى قيدى

فأبت سلمى بنت خصفة وقالت :

ـ وما أنا وذاك

فرجع عبد الله بن حبيب بن عمير بن عوف الثقفى يرسف فى قيده ويقول :

كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا ... وأترك مشدودا علـــى وثاقيا

إذ اقمت عنانى الحديد وأغلقت ... مصاريع دونى قد تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وإخـــوة ... فقد تركونى واحدا لا أخاليـا

ولله عهد لا أخيس بعهـــــده ... لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا

فرقت سلمى بنت خصفة واستخارت الله عز وجل . . ثم قالت له :

ـ إنى استخرت الله ورضيت بعهدك

وأطلقت أبا محجن الثقفى

ثم قالت :

ـ أما الفرس ـ البلقاء ـ فلا أعيرها

ورجعت سلمى بنت خصفة إلى بيتها

فاقتاد عبد الله بن حبيب البلقاء وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق فركبها، ثم دب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة جيش الفرس يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين ثم رجع مع من خلف جيش المسلمين فكبر وحمل على ميمنة جيش الفرس

وتعجب المسلمون منه وهم لا يعرفونه فقال بعضهم :

ـ هو من أصحاب هاشم نفسه

وجعل سعد بن أبى وقاص يقول وهو مكب من فوق قصره :

ـ والله لولا محبس أبى محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء

وقال بعض المسلمين :

ـ إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخضر

وقال بعضهم :

ـ لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا إنه ملك

فلما انتصف الليل حاجز أهل الفرس وتراجع المسلمون

وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج ووضع نفسه فى المحبس وأعاد رجليه فى قيديه وقال:

لقد علمت ثقيف غير فخر ... بأنا نحن أكرمهم سيوفـــا

وأكثرهم دروعا سابغـــات ... وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا

وأنا وفدهم فى كل يـــوم ... فإن عميوا فسل بهم عريفـا

وليلة قادس لم يشعروا بى ... ولم أشعر بمخرجى الزحوفا

فإن أحبس فذلكم بـلائـــى ... وإن أترك أذيقهم الحتوفـــا

قالت سلمى بنت خصفة :

ـ يا أبا محجن : فى أى شىء حبسك هذا الرجل ـ تعنى سعدا ـ ؟

قال عبد الله بن حبيب :

ـ أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى يبعثه على شفتى أحيانا فيساء لذلك ثنائى ولذلك حبسنى وذلك أنى قلت :

إذا مت فادفنونى إلى أصل كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تـدفـنـنى بالفـلاة فإننـــى أخـاف إذا مـت أن لا أذوقهـا

وتروى بخمر الحصن لحدى فإننى أسير لها من بعد ماقد أسوقهـا

ولم تزل سلمى بنت خصفة مغاضبة لسعد بن أبى وقاص عشية أرماث وليلة الهدأة وليلة السواد حتى إذا أصبحت أتته وصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبى محجن

فدعا سعد بن أبى وقاص عبد الله بن حبيب فأطلقه وقال له :

ـ اذهب فما أنا مؤاخذك بشىء تقوله حتى تفعله

فقال أبو محجن الثقفى :

ـ لا جرم والله لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبدا

* وفاة سلمى بنت خصفة

توفيت سلمى بنت خصفة سنة ستين للهجرة

obeikandl.com